

الدرس الثالث والأربعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ؛ صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين . أما بعد:

يقول الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب التميمي رحمه الله تعالى رحمة واسعة في كتابه «كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد» :

باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إِنْ أَخْنَعَ اسْمٌ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلًا تَسْمَى مَلِكَ الْأَمْلاكِ، لَا مَالِكَ إِلَّا اللَّهُ)). قال سفيان: مثل شَاهَانُ شَاهٍ. وفي رواية: ((أَغِيظُ رَجُلًا عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَخْبِثُهُ)) قوله «أخنع» يعني: أوضع.

قال المصنف الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في كتابه التوحيد: ((بَابُ التَّسْمِي بِقَاضِي الْقَضَاةِ وَنَحْوِهِ)) أي حكم هذه التسمية وما فيها من المنافاة لكمال التوحيد الواجب ، لأن التوحيد مبناه على تعظيم الله سبحانه وتعالى وتعظيم أسمائه جل وعلا والأدب معه جل في علاه والمباعدة عن كل ما يخالف ذلك أو يناقضه ؛ ولهذا عقد رحمه الله تعالى هذه الترجمة ((بَابُ التَّسْمِي بِقَاضِي الْقَضَاةِ وَنَحْوِهِ)) أي من الأسماء المشابهة لذلك ، مثل : ملك الملوك ، أو مثلاً سلطان السلاطين ، أو حاكم الحكام ، أو نحو ذلك ، وأيضا ما كان من هذا القبيل بغير اللغة العربية وبغير اللسان العربي مثل ما نقل رحمه الله عن سفيان أنه قال : «مثل شاهان شاه» وهذا باللغة الفارسية بمعنى ملك الملوك أو سلطان السلاطين ؛ فهذه التسمية باطلة ومحرفة كما سيأتي بيان ذلك فيما نقله رحمه الله من حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في النهي عن ذلك والتهديد والوعيد على من تسمى بهذا الاسم .

وقوله ((التسمي)) سواء تسمى الشخص بذلك أي سمي نفسه بذلك ، أو أنه سُمي بذلك ورضي ولم ينكر ، فإن هذا فيه من المنافاة لكمال التوحيد ما لا يخفى لما يجب على الموحّد من التعظيم لله سبحانه وتعالى والتعظيم لأسمائه ، وألا يرفع المخلوق ولا في الاسم بما لا يليق إلا بالله سبحانه وتعالى .

قال: ((في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: إِنْ أَخْنَعَ اسْمٌ عِنْدَ اللَّهِ)) ومعنى أخنع: أي أوضع وأحقر ؛ فهذا فيه أن هذا الاسم اسم ديني واسم وضيع ، وهذا فيه معاملة لهذا المتسمي بهذا

الاسم بنقيض قصده ، لأنه عندما سمي نفسه بهذا الاسم أراد لنفسه العلو والرفعة فعومل بنقيض قصده فكان أخنع شخص عند الله وأوضع وأحقر ، وهذا من المعاملة له بنقيض قصده السيئ الذي هو العلو والرفعة ؛ فعومل بنقي قصده ولهذا قال: ((إن أخنع اسم عند الله عز وجل رجلاً تسمى ملك الأملاك)) ؛ تسمى ملك الأملاك سواءً تسمى أي هو سمي نفسه ، أو من تحته من رعية ونحو ذلك سموه بذلك وأقر التسمية فإن له هذا الوعيد الذي جاء في الحديث .

قال عليه الصلاة والسلام: ((لا مالك إلا الله)) وهذا فيه التعليل لهذا النهي والوعيد لمن تسمى بهذه التسمية ؛ لأنه لا مالك إلا الله سبحانه وتعالى ، وأما الملوك هؤلاء ملكهم محدود وفي نطاق محدود وفي وقت أيضاً محدود وهو أيضاً بيد الله سبحانه وتعالى ، كما قال عز وجل: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦] ، فهذا أمرٌ بيد الله سبحانه وتعالى ، فمن كان من الملوك أو السلاطين أو الرؤساء تعالى وترفع على الناس واختار لنفسه هذا الاسم الذي فيه إظهار العلو لنفسه وسعة ملكه ونحو ذلك يعامل بنقيض قصده مثل ما جاء في الحديث قال ((إن أخنع)) ، فيعامل بنقيض قصده فلا يكون له يوم القيامة إلا الضعة والذلة والحقارة .

قال: ((قال سفيان: مثل شاهان شاه)) ؛ «شاهان شاه» هذه كلمة فارسية بمعنى ملك الملوك وحاكم الحكام وسلطان السلاطين ، وهذا التنبيه من سفيان رحمه الله تعالى فيه أن المراد هذا الاسم سواء باللغة العربية أو ما مثله في اللغات الأخرى ، يعني لا يختص هذا اللفظ بعينه وإنما أي لفظ يؤدي المعنى نفسه سواءً في اللسان العربي مثلاً: حاكم الحكام ، قاضي القضاة ، سلطان السلاطين إلى غير ذلك أو بلسان أعجمي مثل شاهان شاه فالحكم واحد .

قال: ((وفي رواية: أغبط رجل على الله يوم القيامة وأخبته)) وهذا مثل ما سبق فيه المعاملة لهذا الشخص بنقيض قصده ، أراد لنفسه العلو والتكبر والرفعة فعومل بنقيض قصده فكان يوم القيامة أغبط رجل على الله وأخبت رجل، فيكون محله يوم القيامة الضعة والحقارة والسفول؛ معاملةً له بنقيض قصده .

قال رحمه الله تعالى :

فيه مسائل؛ الأولى: النهي عن التسمي بملك الأملاك.

النهي عن التسمي بملك الأملاك ؛ لمجيء النهي عن ذلك في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي ساقه المصنف رحمه الله تعالى ، وجاء التعليل في الحديث بقوله ((لا مالك إلا الله)) فمن تسمى ملك الأملاك اختار لنفسه اسماً لا يليق إلا بالله ، اختاره لنفسه علواً وتكبراً ورفعةً ولهذا كما تقدم عومل بنقيض قصده.

الثانية: أن ما في معناه مثله كما قال سفيان.

أن ما في معناه مثله كما قال سفيان ؛ سواء باللسان العربي أو اللسان الأعجمي ، ما كان في معناه فهو مثله في الحكم ، مثل ما قال سفيان رحمه الله تعالى .

الثالثة: التفطن للتغليظ في هذا ونحوه مع القطع بأن القلب لم يقصد معناه.

«التفطن للتغليظ في هذا ونحوه» يعني هذا اللفظ الذي هو ملك الأملاك ، ونحوه مثل قاضي القضاة ، سلطان السلاطين ، شاهان شاه ونحوها ، «التغليظ في هذا ونحوه مع القطع -أي الجزم- بأن القلب لم يقصد معناه» يعني عند من تسمى بهذا الاسم لم يقصد معناه أن له مُلك كل شيء وأن بيده ملكوت كل شيء ، لم يقصد معناه وإنما قصد تعظيم نفسه بهذا اللقب وتعظيم ملكه بهذا اللقب ، لكن لم يقصد معناه أنه ملك الأملاك أي أن بيده ملكوت كل شيء جميع الأملاك من سماوات أو أرض وغير ذلك، لم يقصد هذا المعنى ، يقول الشيخ «مع القطع أن القلب لم يقصد هذا المعنى» وإنما هذا لفظ أراد به تعظيم نفسه والرفعة لنفسه ؛ وهذا يؤكد لنا أيضاً ما سبق بيانه أن الشريعة كما أنها جاءت بمعالجة المقاصد أيضاً جاءت بمعالجة الألفاظ ، ما يكفي أن الإنسان يقول والله أنا قصدي طيب أو نيتي طيبة وتكون ألفاظه سيئة!! ما يكفي ، الشريعة عاجلت المقاصد والنوايا وأيضاً في الوقت نفسه عاجلت أيضاً الألفاظ والكلمات .

الرابعة: التفطن أن هذا لأجل الله تعالى سبحانه.

التفطن أن هذا لأجل الله : أي تعظيماً لله واحتراماً لأسمائه وأدباً معه جل في علاه ولهذا قال في الحديث: ((لا مالك إلا الله)).

وانتهت بهذا المسائل التي تتعلق بهذه الترجمة ، وبالمناسبة -مناسبة هذه الترجمة- كما أن مثل هذه الألفاظ جاءت الشريعة بدمها فإن الولاية إذا اختاروا لأنفسهم ألفاظاً فيها التواضع فإن هذا يُحمد ؛ ولهذا نقول إن ما وفق الله سبحانه وتعالى له ولاية أمرنا أيدهم الله بتوفيقه أن الملك اختار لنفسه لقب «خادم الحرمين الشريفين» ، فمثل هذه الألقاب التي فيها التواضع وفيها أيضاً ملاحظة التعظيم لبيوت الله والعمل على خدمتها والعناية بها ، فلما تقارن بين من يلقب نفسه ملك الأملاك ، سلطان السلاطين ، حاكم الحكام إلى غير ذلك ، ومن لا يقبل إلا أن يلقب بـ«خادم الحرمين» ، وهذه بدأها الملك فهد رحمه الله تعالى وهي باقية الآن في ولاية الأمر الملك عبد الله في اختيار هذا اللقب ؛ فهذا حقيقة مما يحمد . ومثل هذه المعاني ينبغي أن تُذكر وتُشكر ، كما أن المعاني السيئة تدم

فالمعاني الصحيحة تحمد ، ويدعى أيضا بالتوفيق والسداد ، نسأل الله عز وجل أن يزيدهم تسديدًا وتوفيقًا وخدمةً لبيوت الله وخدمة للإسلام والمسلمين .

قال رحمه الله تعالى :

باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك

عن أبي شريح أنه كان يكنى أبا الحكم ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن الله هو الحكم، وإليه الحكم)) ، فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمتُ بينهم فرضي كلا الفريقين. فقال: ((ما أحسن هذا! فما لك من الولد؟)) قلت: شريح، ومسلم، وعبد الله. قال: ((فمن أكبرهم؟)) قلت: شريح، قال: ((فأنت أبو شريح)) رواه أبو داود وغيره.

قال رحمه الله تعالى : ((بابُ احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك)) أي لأجل احترام أسماء الله عز وجل ، واحترام أسماء الله جل في علاه أي مراعاة حرمتها ومكانتها واختصاص الله سبحانه وتعالى بها هذا من التعظيم لله؛ ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢] هذا من علامة تقوى قلب العبد أن يكون معظماً لله ومعظماً لأسمائه وصفاته وأن يكون محترماً لأسماء الله تبارك وتعالى وصفاته . ومما يتنافى مع الاحترام لأسماء الله تبارك وتعالى وصفاته أن يسمى بها غيره ، ولا سيما الأسماء المختصة التي لا تطلق إلا على الله سبحانه وتعالى .

قال: ((بابُ احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك)) ؛ «تغيير الاسم» : أي تبديله باسم آخر ، «لأجل ذلك» أي لأجل احترام أسماء الله تبارك وتعالى . وإذا كان مطلوباً في هذا المقام تغيير الاسم الذي وجد احتراماً لأسماء الله فلا يُنهى عن التسمي بها ابتداءً من باب أولى ، ولهذا تحترم أسماء الله ؛ فإن وجد أسماء لبعض الناس فيها عدم الاحترام لأسماء الله يجب أن يغير اسمه احتراماً لأسماء الله ، وأيضاً ابتداء لا يسمى أحداً من أهله أو ولده باسم لا يكون فيه مراعاة لحرمة واحترام أسماء الله جل في علاه .

قال رحمه الله تعالى: ((عن أبي شريح)) وهو هاني بن يزيد الكندي رضي الله عنه وكان إسلامه متأخراً عام الفتح؛ فتح مكة .

قال: ((عن أبي شريح أنه كان يكنى أبا الحكم))؛ الكنية: هي ما يصدر بأب أو أم ، يقال أبو فلان أو أم فلان هذه كنية ، والكنية أحياناً تكون بالمعاني ؛ معاني الشرف والرفعة أبو المعالي أبو المحاسن أبو الجود أو غير ذلك ، وقد تكون بالاسم يعني اسم ولده أبو عبد الله أو أحمد أو نحو ذلك ، وقد تكون أيضاً بالوصف الذي يلبس

الشخص مثل تكنية النبي صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة بهذه الكنية ونحو ذلك . فالشاهد أن الكنية: هي ما صُدِّرَ بِأَبٍ أَوْ أُمٍّ . ((فكان يُكنى أبا الحكم)) أي قومه يكونونه بهذه الكنية «أبا الحكم» .

((فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله هو الحكم)) ؛ جاء في بعض الروايات أنه قال: ((ما هذه الكنية!!)) يعني أنك على التكنية بأبي الحكم ، وعَلَّلَ ذلك بقوله ((إن الله هو الحكم)) ، وهذا يدل على أن «الحكم» اسم من أسماء الله تبارك وتعالى ، والأسلوب هنا الأسلوب الذي هو ((إن الله هو الحكم)) هذا من أساليب الحصر في اللغة ، لأن الخبر الذي هو «الحكم» عُرِفَ بـ«أل» وفُصِّلَ بينه وبين المبتدأ بالضمير «هو» ، ((إن الله هو)) ففُصِّلَ بينه وبين المبتدأ أو اسم إن بالضمير هو ، فهذا من أساليب الحصر والاختصاص .

قال ((إن الله هو الحكم)) أي الله هو المختص بالحكم ، ولهذا قال بعده : ((وإليه الحكم)) الحكم إليه وحده ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ﴾ [الرعد: ٤١] ، ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾ [الأنعام: ١١٤] ، ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حَكَمًا﴾ [المائدة: ٥٠] ، ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٧] ، فالحكم هو الله وهو الذي له الحكم سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٤٠] الحكم لله بأنواعه الثلاثة : الحكم الكوني القدري ، والحكم الشرعي الديني ، والحكم الجزائي ؛ الحكم لله يحكم سبحانه وتعالى بما شاء ، يقضي بما يشاء لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه ، له الحكم الكوني القدري جل وعلا ، وله الحكم الشرعي الديني ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١] ، وله الحكم الجزائي؛ الجزاء العقوبات الحكم فيها لله سبحانه وتعالى ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١] ، فالحكم لله ، الله هو الحكم وإليه الحكم .

قال أبو شريح : ((إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم، فرضي كلا الفريقين)) ؛ وهذا أيضًا مما يؤكد قضية المنع أن اللقب له تعلق بالمعنى الذي هو الحكم ، قال: ((إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين)) والمراد بالحكم هنا: أي الإصلاح بين الخصومات والتلطيف بين المتخاصمين بتهدئة الأمور مثل ما قال الله عز وجل: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤] ، الإصلاح تلطيف الأمر ، تهدئة شدة الخلافات والشحناء ، وكانوا يرتاحون له ويطمئنون له ، إذا قال يا فلان سامح يا فلان كذا مثل هذه الأمور كانوا يرتاحون للرجل ، فهذا المراد ، لا أن المراد بأنه يحكم بينهم بأحكام جاهلية ويسن فيهم قوانين وأمور من هذا القبيل وإنما كان يحكم بينهم بهذه الطريقة ، يعني يصلح بينهم ، يحرص على جمع الكلمة ، إبعاد الشحناء والخصومة التي تقع بينهم .

ولهذا قال له النبي عليه الصلاة والسلام: ((ما أحسن هذا)) أقره على هذا اللطف وهذا الإصلاح بين قومه ومحاولة الجمع بينهم وإبعاد الشحناء والبغضاء والعداوات ونحو ذلك من الأمور ، إذا شخص أخذ من شخص مال أكد عليه أن يعيد له ماله أو نحو ذلك ، يعني مثل هذه الأمور ، فالنبي صلى الله عليه وسلم قال ((ما أحسن هذا)) .

قال : ((فما لك من الولد؟ قال قلت: شريح ومسلم وعبد الله. قال: فما أكبرهم؟ قلت: شريح، قال: فأنت أبو شريح)) كناه النبي صلى الله عليه وسلم بأكبر ولده ، وهذا فيه أن الكبير له الأحقية وله التقديم ، مثل ما جاء في الحديث «كَبُرَ كِبَرٌ» ، فالكبير له الأحقية يُبدأ به في تقديم الطعام ، يبدأ به في دخوله المجلس ، الآن بعض الناس إذا أرادوا أن يدخلوا قال اليمين ، لا الكبير هو الذي يقدّم ويبدأ به مثلاً في تقديم الطعام ، يبدأ بالحديث إذا كان ثمة حديث سيتحدث به الجميع يتقدم الأكبر منهم ، فالكبير له الأحقية والأولوية على من دونه ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: ((فمن أكبرهم؟ قلت شريح ، قال فأنت أبو شريح)) مع أنه يوجد في أسماء أولاده أحب الأسماء إلى الله «عبد الله» ، لكن مراعاة الأكبر وأن الأولوية والتكنية تكون للأب بأكبر أولاده ؛ ولهذا قال له النبي صلى الله عليه وسلم ((فمن أكبرهم؟ قال قلت شريح قال فأنت أبو شريح)) .

قال رحمه الله تعالى :

فيه مسائل؛ الأولى: احترام صفات الله وأسماء الله ولو لم يقصد معناه.

يعني إن وجد الاسم ولم يُقصد المعنى -أي المعنى المختص بأوصاف الله وأسمائه تبارك وتعالى- وإن لم يقصده فإنه يُمنع منه احتراماً لأسماء الله تبارك وتعالى وأدباً مع الله .

الثانية: تغيير الاسم لأجل ذلك.

تغيير الاسم لأجل ذلك؛ أي لأجل احترام أسماء الله تبارك وتعالى .

الثالثة: اختيار أكبر الأبناء للكنية.

أي أن الأب يكتئ باسم أكبر أبنائه مثل ما كنى النبي صلى الله عليه وسلم هذا الصحابي هاني بن يزيد؛ كناه بأبي شريح الذي هو أكبر أبنائه .

قال المؤلف رحمه الله تعالى :

باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

وقول الله تعالى: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: ٦٥].

قال رحمه الله تعالى: ((باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول)) ولم يذكر جواب الشرط للعلم به من خلال ما ساقه من النصوص؛ الآية الكريمة والأحاديث المفسرة لها في بيان سبب نزولها ، وأن هذا الهزل بشيء مما فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول كفر ناقل من ملة الإسلام .

((من هزل بشيء)) ؛ هزل: أي استهزأ وتهكم وسخر بشيء فيه ذكر الله سبحانه وتعالى أو ذكر القرآن أو الدين الذي بُعث به الرسول عليه الصلاة والسلام أو الرسول صلى الله عليه وسلم أو حملة الدين لأجل الدين الذي يحملونه ؛ فإن هذا كفر ناقل من الملة منافٍ للتوحيد كل المنافاة مبطلٌ للعمل ، وصاحبه إن مات عليه فإنه يوم القيامة ليس له عند الله تبارك وتعالى إلا النار وبئس المصير .

فهذه الترجمة فيها التحذير من الهزل أو الاستهزاء أو السخرية أو التهكم بشيء فيه ذكر الله أو ذكر القرآن أو ذكر الرسول عليه الصلاة والسلام ، وأن هذا الهزل والاستهزاء والسخرية كفر بالله سبحانه وتعالى ناقل من الملة منافٍ للإيمان بالكلية ومخرجٌ من الدين .

قال رحمه الله تعالى: ((وقول الله تعالى: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٦٥) لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبُ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾)) هذه الآية نزلت في نفرٍ كانوا خرجوا مع النبي عليه الصلاة والسلام في غزوة تبوك ، ولم يكونوا كفارًا بل كانوا مؤمنين ولكن إيمانهم كان إيمانًا ضعيفًا إيمانًا رقيقًا لم يكن إيمانًا قويًا ؛ ولهذا حصل منهم استهزاء وتهكم بالنبي صلى الله عليه وسلم وقراء الصحابة رضي الله عنهم فيما سيأتي ذكره ، حصل منهم استهزاء فكان هذا الاستهزاء الذي حصل منهم ناقل لهم من ملة الإسلام مخرج لهم من الدين ، ولهذا في الآية قال: ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ وهذا فيه دليل كما نبه أهل العلم أنهم قبل هذه المقالة كانوا مؤمنين لكن لم يكونوا مؤمنين كاملي الإيمان ، كانوا مؤمنين لكن إيمانهم ضعيف ، دينهم دين ضعيف ، وبهذا الضعف في الإيمان وجد منهم هذا الاستهزاء والسخرية فكان موجبًا لكفرهم وخروجهم من الإيمان .

في الآية التي قبل هذه الآية في سورة التوبة ، وسورة التوبة تعرف بـ«المبعدة» ، و«المثيرة» ، و«الفاضحة» لأنها فضحت المنافقين وهتكت سترهم وكشفت عن أوصافهم وبيّنت فضائحهم ومخازيهم ، والمنافقون كانوا يخشون من نزول سورة فاضحة لهم ، يعني يرتكبون ما يرتكبون من مخالفات وهم في قرارة نفوسهم يخشون أن تنزل سورة فاضحة لهم ولا يزالون يتخوّفون من نزل سورة فاضحة حتى نزلت سورة التوبة التي تُعرف بالفاضحة والمبعدة والمثيرة لأنها أثارت أوصاف هؤلاء وكشفتها وهتكت سترهم ، ولهذا تقرأ في سورة التوبة كثيرًا ما يقول الله ﴿وَمَنْهُمْ﴾ ،

﴿وَمِنْهُمْ﴾، ﴿وَمِنْهُمْ﴾؛ يذكر أوصاف وعلامات لأهل النفاق ، ومن هذه العلامات علامات النفاق وأماراته ودلائله : الاستهزاء بالدين ، لأن الاستهزاء بالدين ضرب من ضروب النفاق وصفة من صفات المنافقين ، ولهذا في الآية التي قبل هذه الآية قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجُ مَا تَحْذَرُونَ﴾ (٦٤) استمروا في استهزائكم ، الله سبحانه وتعالى هاتك ستركم وكاشف فضائحكم ومظهر مخازيكم ، استهزئوا استمروا في استهزائكم فالله مخرج ما تحذرون ، هذا الذي تحذرون الله مخرجه وفاضحكم وكاشف مخازيكم ، والله سبحانه وتعالى من حكمته أنه لما كشف مخازي المنافقين كشفها بالأوصاف ، ذكر أوصاف المنافقين لم يكشفها بالأسماء ، ولهذا في سورة التوبة لم تذكر أسماء المنافقين فلان وفلان وفلان ، لم تذكر الأسماء وإنما ذكرت الأوصاف ، ومن الحكمة في ذلك كما قال العلماء : أن تبقى هذه أوصاف ومعلم في المنافق في كل زمان ومكان ، تبقى هذه أوصاف وعلامات لأهل النفاق في كل زمان ومكان في أي وقت ، من وجدت فيه هذه العلامات فهذه علامات المنافقين ، ولهذا الله سبحانه وتعالى كشفهم بالأوصاف لم يكشفهم بالأسماء ، كشفهم بالأوصاف حتى تبقى منطبقة على الأسماء المعينة التي نزل فيها أو كانت أسباب لنزول الآيات ، ومن اتصف بتلك الصفات في أي وقت من الزمان وفي أي مكان من الدنيا .

اقرأ مثلاً وهي شبيهة بهذه الآية قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُوا فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ [المجادلة: ٨] يعني هم في أنفسهم يعرفون أن هذه الممارسات ممارسات مضادة للإسلام ومباينة للدين وفيها عدوان وتعدي وتجاوز إلى غير ذلك يعرفون ذلك ويعرفون أن هذا موجب للعقوبة ، يعرفون ذلك ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُوا فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ يعني هذا موجب للعذاب يعرفون أن هذا عمل باطل محرم موجب للعذاب ، يأتي الواحد منهم ويلقي السلام ملغماً «السلام عليكم» يعني الموت ، فيعرفون أن هذا الكلام فيه من العدوان والظلم ما يستحقون عليه عقوبة الله سبحانه وتعالى ولهذا عندهم هذا الحذر ، عندهم حذر وخوف من نزول العقوبة ، وعندهم أيضاً حذر وخوف من نزول سورة وآيات من القرآن تفضح هؤلاء وتهتك سترهم .

قال الله ﴿قُلِ اسْتَهْزِئُوا﴾ أي استمروا في هذا الاستهزاء الذي هو من صفاتكم صفات المنافقين ، استهزئوا استمروا فيما أنتم عليه من استهزاء ﴿إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجُ مَا تَحْذَرُونَ﴾ يعني هذا الذي تحذرونه وتخشونه في قرارة أنفسكم الله مخرجه بأن يفضحكم ويهتك ستركم .

ثم قال جل وعلا: ﴿وَكُنْ سَأَلُهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ ؛ إن سألتهم عن هذا الاستهزاء الذي بدر وحصل منهم يقول القائل منهم : نحن لم نقصد الاستهزاء نفسه بالدين أو بالنبي عليه الصلاة والسلام أو بحملة

الدين وإنما قصّدا التسلية ، التسلية مجالها واسع في السفر لماذا ضاقت عليكم التسلية في السفر إلا أن تأتوا للدين أو النبي عليه الصلاة والسلام!! لم تجدوا إلا هذا للتسلية!! هذا دليل على نفاق في القلب ، لا يمكن يتجرأ إنسان على الاستهزاء بدين الله سبحانه وتعالى إلا وقلبه معطب بشيء من النفاق ، ولهذا يتحرك في قلبه الاستهزاء بالدين ، الدين مبني على تعظيم الله وتعظيم دينه وتعظيم شرعه ؛ فإذا وجد هذا الاستهزاء في القلب دل على أن هذا الذي حصل منه هذا الاستهزاء في قلبه مرض النفاق ، ولهذا هذا المرض هو الذي حرك في قلبه هذا الاستهزاء بدين الله ، وإلا شخص يعظم الدين ويعظم رب العالمين ويعظم شرع الله سبحانه وتعالى هل يمكن أن يجرأ على أن يستهزئ بدين الله تبارك تعالى في مجالس المرح!! إذا أراد أن يمزح باب المرح واسع جداً ومجالاته واسعة كثيرة ، فلا يختار الإنسان عند التسلية والمزح الدين أو ذكر الله أو ذكر الإسلام أو ذكر النبي عليه الصلاة والسلام؛ إلا عن عطب في قلبه ومرض في قلبه بالنفاق والعياذ بالله .

﴿وَلَنْ سَأَلَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَلَعَبٌ﴾ يعني ما كان قصدا الدين نفسه أننا نستهزئ به ونسخر ، لا ، ما كان هذا قصدا وإنما قصّدا التسلية ، نحن في سفر ومع عناء السفر فنسلي أنفسنا بذلك في الطريق . فقال الله عز وجل لنبيه ﴿قُلْ﴾ أي أيها النبي لهؤلاء المستهزئين ﴿أَبَاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٦٥)!! ﴿لَا تَعْتَذِرُوا﴾ لا تأتوا بهذه الأعذار نحن في سفر وفي تعب وقصدا المرح إلى آخره ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ ، وقوله ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ فيه دليل كما نبه أهل العلم أنهم قبل هذه المقالة لم يكونوا كفاراً لأنه قال: ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ فهم قبل هذه المقالة لم يكونوا كفاراً ، لأنهم لو كانوا كفاراً لقال «قد كفرتم بعد كفركم أو إضافة إلى كفركم» ، لكن قال ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ ، فهذا دليل أنهم قبل هذه المقالة لم يكونوا كفاراً ، وفي الوقت نفسه لم يكونوا مؤمنين كاملي الإيمان ، لأن المؤمن قوي الإيمان لا يمكن أن ييدر منه مثل هذا ، لكن مع ضعف الإيمان ورقته ونقصانه يمكن أن تأتي مثل هذه الكلمات التي يلقيها الشخص وربما لا يلقي لها بالاً فيهوي بها في النار سبعين خريفاً .

قال عز وجل: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبُ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ أي بسبب هذا الإجماع الشنيع والظلم الفظيع الذي هو الاستهزاء بالله أو برسوله أو بدين الله تبارك وتعالى . وقوله ﴿إِنَّ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ﴾ هذا فيه أن من تاب وصدق مع الله سبحانه وتعالى بالتوبة يعفو الله عنه ولو كانت توبته من نفاق فإن رب العالمين يعفو عنه إن صدق مع الله سبحانه وتعالى ، ولو كانت توبته من نفاق مثل هذا الذي هو الاستهزاء ، ما يقال إن من استهزأ بالدين وكفر بذلك انتهى أمره تماماً لا مجال للتوبة أبداً ؛ باب التوبة متاح لكل تائب أيّاً كان ، مثل ما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ

أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ [الزمر: ٥٣] ، فالله عز وجل يغفر الذنب مهما كان الذنب .

فقوله ﴿إِنْ نَعَفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ﴾ هذا فيه دليل على أن من تاب إلى الله سبحانه وتعالى وصدق مع الله في توبته أن الله يتوب عليه ، وهذا جاء في قوله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ [النساء: ١٤٥-١٤٦] استثنى ، من تاب من النفاق تاب الله عليه ، إلا الذين تابوا استثناهم الله عز وجل ، من تاب من النفاق تاب الله سبحانه وتعالى عليه إذا صدق مع الله في توبته . ولذا هؤلاء نفر المجموعة الذين صدرت منهم هذه الكلمات كان من بينهم رجل يقال له مخشي بن حُمَيْر ، كان من بين هؤلاء ولم يشارك بالقول لكنه ضحك وسمع الكلام ، وقيل إنه حصل منه شيء من الإنكار أو عدم الرضا بالمقالة ، لكن كان معهم ومشارك وضحك وتناولته الآية ، لكنه تاب ، ولهذا قال غير واحد من أهل العلم هو المعني بقوله سبحانه وتعالى ﴿إِنْ نَعَفُ عَنْ طَائِفَةٍ﴾ ، ولهذا يُذكر في ترجمته وله ترجمة في «أسد الغابة» و«الإصابة» وبعض كتب التراجم ذكر في ترجمته أنه كان يقول في مناجاته لله كلامًا معناه يقول : «اللهم إني أقرأ آية في القرآن تقشعر منها الجلود أعني بها» لأنه من الذين نزلت فيهم هذه الآية ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ يقول «تقشعر منها الجلود أعني بها» ، ثم سأل الله سبحانه وتعالى أن تكون موته شهيدًا في سبيل الله لا يعلم أحد بمكاني ، ومات في معركة اليمامة شهيدًا في سبيل الله ولم يُعرف له أثر أو لم يوجد له أثر رضي الله عنه ؛ فتاب وصدق مع الله سبحانه وتعالى في توبته وتاب الله عليه . وهذا يستفاد منه : أن من تاب تاب الله عليه ، من كان حصل منه شيء من أوصاف المنافقين أو علامات المنافقين يتدارك نفسه بالتوبة الصادقة مع الله سبحانه وتعالى ، وإذا صدق مع الله جل وعلا في توبته تاب الله سبحانه وتعالى عليه .

قال رحمه الله تعالى :

عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة - دخل حديث بعضهم في بعض - أنه قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء؛ أرغب بطونا ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء، يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه القراء، فقال له عوف بن مالك: كذبتَ ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذهب عوفٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته فقال: يا رسول الله إنما كنا نخوض وننتحدث حديث الركب نقطع به عناء الطريق . قال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقًا بنسعة ناقة رسول الله

صلى الله عليه وسلم وإن الحجارة تنكب رجله وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ ما يلتفت إليه وما يزيده عليه .

قال: ((وعن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة)) أي بن دعامة السدوسي .
 ((دخل حديث بعضهم في بعض)) أي أن الرواية التي ساقها رحمه الله تعالى من مجموع هذه الروايات ؛ حديث ابن عمر ، ومحمد بن كعب ، وزيد ابن أسلم ، وقتادة ، أي مجموع هذه الروايات ؛ هذا معنى قوله ((دخل حديث بعضهم في بعض)) أي أن هذه الرواية من مجموع هذه الروايات .
 ((أنه قال رجل في غزوة تبوك : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء؛ أرغب بطونا، ولا أكذب ألسنا، ولا أجبن عند اللقاء، يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه القراء)) ؛ هذا استهزاء بالرسول عليه الصلاة والسلام واستهزاء بالصحابة القراء الذين أكرمهم الله سبحانه وتعالى بحفظ القرآن وفهم القرآن على ما سيأتي بيانه .
 فهؤلاء حصل منهم هذا الاستهزاء بالنبي عليه الصلاة والسلام وبالقراء من الصحابة قالوا: «ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء» ؛ وهذه الأوصاف الثلاثة هي أوصاف لأهل النفاق، وجاء في الأحاديث ما يدل على شرهم وكثرة أكلهم ، وجاء في النصوص ما يدل على شدة جبنهم وخوفهم مثل ما قال الله سبحانه وتعالى في وصفه للمنافقين: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ [المنافقون: ٤] من شدة ما في قلوبهم من الخوف والجبن ، والكذب أبرز صفات المنافقين ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١] ؛ فهذه صفات المنافقين ؛ قال ((فقالوا ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه القراء)).

((فقال له عوف بن مالك: كذبت ولكنك منافق)) وهذا فيه مجاهدة المبطل بباطله والإنكار عليه والتشديد أيضا في الإنكار قال «كذبت ولكنك منافق» لأن هذا الكلام هو النفاق ، استهزاء بالرسول أو بشيء فيه ذكر الله أو فيه ذكر الدين هذا هو النفاق ، وهذه من علامة المنافقين مثل ما في الآية التي قبلها في أوصاف المنافقين ﴿قُلْ اسْتَهِزُّوا إِنِ اللّٰهُ مُخْرِجُ مَا تَحْذَرُونَ﴾ (٦٤) ، فلا استهزاء بشيء فيه ذكر الله أو فيه ذكر الرسول عليه الصلاة والسلام أو ذكر القرآن أو ذكر الدين هذا من أوصاف المنافقين لهذا قال له: ((كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم)).

((فذهب عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره فوجد القرآن قد سبقه)) أي سبقه بإخبار النبي وإعلام النبي صلى الله عليه وسلم بذلك .

((فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته)) أي للانطلاق .
((فقال: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب نقطع به عناء الطريق)) أي شدته ومشقته ، نقطع المسافة في السفر بتسلية ومزاح ودعابة لا نقصد حقيقة الاستهزاء أو السخرية ، وقد قال الله عز وجل ﴿وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ وفعلاً جاء الرجل وقال هذا الكلام ؛ قال إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب . وفي الأسفار والمسافات الطويلة يحصل للناس ملل وسآمة فيحبون قطع المسافة ، لكن بعض الناس يتلى بقطع المسافات في الطريق وعناء السفر بمثلاً إما غيبة أو استهزاء أو سخرية بالناس أو أشياء من هذا القبيل ، فلا يزال في سفره يكتسب إثماً ، ولربما إن كان بلغ مثل هذا المبلغ اكتسب كفراً وردةً والعياذ بالله عن دين الله جل وعلا .

((قال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلق بنسعة ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم)) ونسعة الناقة: هو السير الذي يشد به الرحل ، وأيضا قد يُستعمل زماماً للناقة ، فالرجل مكان متعلقاً بنسعة ناقة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .

((وإن الحجارة تنكب رجله)) أي تضرب في قدميه ، والنبي صلى الله عليه وسلم يمشي في الناقة وهذا متمسك بنسعة الناقة يعتذر بهذا الاعتذار «إنما كنا نخوض ونلعب» يعتذر .

((فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ ما يلتفت إليه وما يزيد)) أي على هذا الذي جاءه في الوحي ، الله عز وجل قال له: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿ ، فما كان عليه الصلاة والسلام يزيد على ذلك ، ما يزيد على الوحي على النص الذي جاءه في الوحي ، ما كان يزيده صلى الله عليه وسلم على ذلك .

قال رحمه الله تعالى :

فيه مسائل؛ الأولى وهي العظيمة : أن من هزل بهذا فإنه كافر.

قال «الأولى وهي العظيمة» يعني البالغة الخطورة أشد ما يكون «أن من هزل بهذا أنه كافر» بهذا: أي بالله بشيء فيه ذكر الله أو ذكر القرآن أو الدين أو الرسول عليه الصلاة والسلام ، من هزل بهذا فإنه كافر ، والمراد بـ«كافر» أي كفر أكبر ناقل من ملة الإسلام .

إذا كان هذا حال الهازل الذي يقول كلمة من الاستهزاء أو السخرية من باب الهزل فكيف بحال الساب والعياذ بالله !! من يسب الدين أو يسب والعياذ بالله رب العالمين أو النبي عليه الصلاة والسلام ؛ هذه ردة وكفر أكبر ناقل من الملة ، مع أن بعض المناطق أو بعض البلدان استشرى فيهم هذا السب وأصبح بعض الناس يكثر على لسانه هذا النوع من السب أكثر من كلمة السلام عليكم أو الكلمات الطيبة ، لاشك أن هذا كفر أكبر ناقل من الملة ، إن كان هذا الساب يصلي ويصوم ويتصدق وغير ذلك من الأعمال فإن هذا السب ولو مرة واحدة يبطل لعمله كله ومخرج له من دين الإسلام ، لا تنفعه صلاته ولا ينفعه صيامه ولا ينفعه زكاته ولا تنفعه أعماله الصالحات لأن هذا ناقض للدين ، هؤلاء قال الله في شأنهم: ﴿ قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ وهم يعتذرون يقولون «إنما قصدنا التسلية وعناء السفر والطريق ما قصدنا الاستهزاء نفسه» ، فكيف بمن يجرؤ والعياذ بالله بأن يسب رب العالمين أو يسب الدين أو يسب مثلاً النبي عليه الصلاة والسلام !!

بعضهم إذا اشتد خصومته مع شخص سب دينه أو دين والديه أو نحو ذلك ، أذكر مرة في طريق في بعض المناطق كان أمامي شخصان فأحدهما يحمل متاعاً فداعبه زميله حركه قليلاً فأراد أن يسقط المتاع الذي على رأسه فالتفت على زميله وشتم دين أم زميله ، فأوقفته قلت أنا أريد أن أسألك : الآن أنت تعرف دين أم هذا الشخص زميلك أو لا؟ قال نعم ، قلت ما دينها ؟ قال دينها الإسلام ، قلت إذا أنت الآن تسب الإسلام ، لأنك أنت الآن تشتم دين أمه ودينها الإسلام معنى ذلك أن تشتم الإسلام وتسب الإسلام ، وهل تعرف معنى شتم الإسلام؟ شتم الإسلام هذا كفر بالله سبحانه وتعالى وبالدين ومبطل للعمل كله ، إن كان الإنسان يصلي أو يصوم أو يتصدق أو يعمل شيء من الصالحات أو غيره كلها لا تقبل منه ، حتى مثل هذا المتاع الذي تحمله خدمة لوالديك أو لبيتك هذا كله ما يقبل منك ما دمت تسب الإسلام . وبعض الشباب ربما تناقلها من بعض زملائه أو بعض أسنانه ولم يستوعب ومع ذلك تبقى الكلمة كفر ناقل من الملة ، سب الدين أو سب الله أو سب الرسول عليه الصلاة والسلام أو نحو ذلك أو الاستهزاء بالدين أو السخرية هذا كفر ناقل من الملة يبطل معه صلاة الإنسان تبطل صيامه صدقاته أعماله كلها لا تنفعه ، لأن الكفر مبطل للأعمال ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقَبَّلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ ﴾ [التوبة: ٥٤] ، ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥] .

الثانية: أن هذا تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائناً من كان.

نعم يعني العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، أن هذا تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائناً من كان ، ولهذا جاء الفضح للمنافقين بذكر الأوصاف ولم يأت بذكر الأسماء ؛ لتبقى هذه أوصاف للمنافق كائناً من كان في أي زمان وفي أي مكان .

الثالثة: الفرق بين النميمة وبين النصيحة لله ولرسوله.

قال: «الفرق بين النميمة وبين النصيحة لله ولرسوله» لأن عوف بن مالك رضي الله عنه لما سمع هذه الكلمة نقلها للنبي عليه الصلاة والسلام ؛ فأخذ من ذلك فائدة المصنف : الفرق بين النميمة ؛ لأن النميمة: هي نقل الكلام من شخصٍ لآخر على وجه الإفساد بينهما والوقية وإيجاد العداوة ؛ فهذه نميمة ، أما نقل الكلام على وجه الإصلاح ولاسيما للحاكم أو لولي الأمر أو للأمرير نقل الكلام له حتى يردع الظالم أو الجاني أو المعتدي فهذا نصيحة ، ولهذا قيل:

الدم ليس بغيبة في ستّةٍ متظلم ومعرف ومحذر
ولمظهر فسقاً ومستفتٍ ومن طلب الإعانة في إزالة منكر

الرابعة: الفرق بين العفو الذي يحبه الله، وبين الغلظة على أعداء الله.

الفرق بين العفو الذي يحبه الله ﴿وَالْكَافِرِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] ، الفرق بينه وبين الغلظة على أعداء الله ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التحريم: ٩] ففيه فرق بين العفو ؛ العفو في محله هذا عظيم وثوابه عند الله عظيم ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ، وفيه مقامات تحتاج إلى غلظة وشدة وتعنيف ردعاً للظالم المعتدي وأيضاً تحذيراً لغيره من أن يقع في مثل ما وقع فيه .

الخامسة: أن من الاعتذار ما لا ينبغي أن يُقبل.

أن من الاعتذار ما لا ينبغي أن يُقبل ؛ فمثل هؤلاء لما حصل منهم هذا الأمر قالوا : لم نقصد وإنما قصدنا نخوض ونلعب ، يعني نريد أن تقطع عناء السفر ، هذا غير مقبول؛ لأن عناء السفر عندك مجال واسع جدا من المزح والتسلية والدعابة ، مجال واسع جدا تقطع به عناء السفر ، فلا يمكن أن يكون قطع عناء السفر باستهزاء أو سخرية بشيء فيه ذكر الله أو ذكر الرسول عليه الصلاة والسلام أو ذكر القرآن ، فمن الاعتذار ما لا ينبغي أن يُقبل ولهذا كان هذا يعتذر بهذا العذر ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ والنبي صلى الله عليه وسلم لا يلتفت إليه ولا يزيده على قول الله عز وجل: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ .
سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .
اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .